تطور مفهوم القبح في الفكر الفلسفي

إعداد

هند محمد بن غزي

إشراف

الأستاذ الدكتور / رمضان بسطاويسي

مقدمة تمهيدية

يتناول هذا البحث تطور مفهوم القبح في الفكر الفلسفي والجمالي وموقف الفلاسفة والجماليون من المفهوم بين الرفض والقبول بين سلبيته كقيمة وإيجابيته ، معلل كل منهما سبب رفضه وقبوله للمفهوم.

وقد ابتداء المبحث بدراسة الأراء الفلسفية والجمالية فيما يتعلق بمفهوم القبح من بدايته في الفكر الفلسفي اليوناني إلى تطور المفهوم في الفكر الفلسفي والجمالي في العصر الحديث ثم قامت الدراسة بمعرفة العلاقة مابين القبح والجمال وبين القبح والجليل فيما يتعلق بالاختلاف ومدى الشبه بينهما في الفكر الجمالي فيما يخص السمات من دهشة وخوف ورعب كرد فعل طبيعي للموضوع الجليل والقبيح.

ومن هذا المنطلق سعت الدراسة لتوضيح مفهوم القبح جماليًا وفلسفيًا نظرًا لما يحمله هذا المفهوم من أهمية في المجال الفني والفلسفي ، إذ لا يزال هذا المفهوم مصدرًا للجدل بين الفلاسفة وأصحاب الفكر الجمالي فالبعض يرى بأن للقبح جمال في الفن ، لما يحمله من معاني مقصودة ، والبعض الآخر يرفض علاقة القبح بالجمال ويعتبر قيمة سلبية. وبهذا يهدف البحث لمعرفة تطور مفهوم القبح فلسفيًا وفكريًا وجماليًا.

أولاً : تطور مفهوم القبح في الفكر الفلسفي والجمالي :

لا يزال مصطلح القبح في الفن المصدر الرئيسي للنزاع في الفكر الفلسفي والجمالي ، ولعل السبب في ذلك أن الاهتمام بالقبح في الفكر الفلسفي هو اهتمام ثانوي مقارنة لاهتمامه بموضوع الجمال.

إذ رجعنا إلى الفن وتاريخه نجد أن المناقشات الرافضة للقبح بوصفه قيمة سلبية تبعث النفور والاشمئزاز وتجد صدها عند البعض من الفلاسفة إلى عصرنا الحالي ، إلا أن هذا الرفض جاء مقابل لبعض الاستثناءات التي تنبه لها فلاسفة الفن لكي يعيدون النظر في الكيفيات التي يتم من خلالها أدراك أهمية الاحتفاء بالموضوعات القبيحة نظرًا لتلك القيمة الإيجابية من الناحية الوظيفية.

ولمعرفة مفهوم القبح في الفكر الفلسفي يمكننا الرجوع أولاً إلى النظريات التاريخية المختلفة التي ترى بأن جوهر العالم يكمن في الانسجام بين الاضداد، فعلى سبيل المثال (هرقليطس)[*] ، (٤٨٠ - ٥٧٦ ق.م) يرى بأن العالم نتج من خلال الصراع فلا شئ ثابت ابدي في الكون فكل شئ يتغير[١].

إن الصراع القائم بين الاضداد عند هيرقليطس يجعله يؤكد على أن كل شئ من الوجود يحمل في داخله نقيضه بالضرورة على مبدأين متعارضين، فجميع الأشياء في الكون مكونة من اضدد متعارضة وبالرغم من تعارضها إلا أنها يكونا وحدة ضمنية فيما بينهما ، فحياة الأشياء وسر وجودها يكمن في الصراع بين المبدأين المتعارضين وإلا يكف الوجود عن الاستمرار[٢].

---

[*] هيراقليطس : فيلسوف يوناني تميز بالنزعة الارستقراطية إذ كان يحتقر العامة ومعتقداتهم الدينية ، ألف كتابًا بعنوان (الطبيعة) ، لقب بالفيلسوف الغامض كان عصره حروب وثورات ، وهو فيلسوف التغير فالعالم لديه في تغير مستمر.

[١] أوفسيانكوف ، م. ، سمير نوفا : موجز تاريخ النظريات الجمالية ، ترجمة : باسم السقا ، (دار الفارابي ، بيروت ، ١٩٧٥) ، ص ١٤.

[٢] ستيس ، وولتر : تاريخ الفلسفة اليونانية ، المرجع السابق ، ص ٧٣.

وعليه يمكننا القول أن وجود الأشياء في الكون واستمرارية قيامها يرجع إلى تلك القوى المتضاده والمتصارعة مع ذاتها "فالتناسق هو وحدة الاضداد"[٣].

في حين نجد أن (السفسطائيين) [*] نظروا إلى القيم الجمالية على أنها قيم متغيره وفقًا لتغيير طبيعة الحياة الإنسانية واختلاف المكان والزمان ، فالقيم جميعها سواء الاخلاقية أو الفنية ترجع إلى المصدر

الإنساني وهذا سبب في تغيرها[٤]. وطبقًا لهذه النسبية والتغير فالقبح والجمال والشر والخير وكل شئ نسبي متغير لا حقيقة مطلقة له.

إن الجميل عند السوفسطائيون لايوجد بطبعه ، بل يتوقف الأمر على اهواء وظروف البشر ومستوى اخلاقهم وثقافتهم[٥]. ولعل تغير القيم ونسبيتها تؤكد على نسبية المعرفة عند الإنسان ويتلخص هذه النسبية في عباره شهيره لـ (بروتاجوراس)[*] "أن الإنسان مقياس كل شئ" حيث أن "كل إنسان هو مقياس ماهو حقيقي بالنسبة له"[٦]. فالفن كذلك هو نشاط يكتب قيمته من الخبرة الإنسانية والتعلم لا من التعبير عن مثال مطلق للجمال أو هبة آلهية ينفرد بها المبدع[٧].

أما (جورجياس)[*]، فقد خرج عن النظرية الشائعة عند اليونان للجمال وربطه بالحقيقة المقدسة عند الفلاسفة فالجمال مستقل لديه عن فكرة الحق مؤكدًا بذلك مايلعبه الجمال من دور في التأثير على الحس الإنساني[٨]. لذا فالنظرية السوفسطائية اعتقدت بأن الحقائق في كل النظريات الفكرية والنقدية والاجتماعية والفلسفية حقائق متغيرة نسبية ومتحولة فما هو ثابت في الاسس اصبح متحول اليوم وجميع هذه النظريات المتشكلة من قبل الإنسان ماهي إلا حقائق نسبية فالحقيقة يستحال الوصول إليها.

وقد أنكر (جورجياس) ليس الوجود فحسب بل أكد على إنكار المعرفة بالحقيقة وإمكانية نقلها باللغة للغير ، فاللغة من وجه نظره لا تؤدي أو تدل على حقيقة الكون، فهي تبعث الاوهام ولا تقنع عقليًا بل تؤثر العواطف وانفعالات النفس[٩].

في حين يربط (سقراط) [*] (٣٩٩-٤٧٠ ق.م) القبيح والجميل بمدى نفعيتهما، فالجمال هو النفع لأنه يحقق الهدف المرجو منه ، أما القبيح والردى فهو الشئ الخالي من الجدوى والفائدة ،

---

[٣] الربضي ، أنصاف جميل : علم الجمال بين الفلسفة والإبداع ، ط١ (دار الفكر ، عمان ، ١٩٩٥) ، ص ١٨.

[*] السفسطائيون هم فلاسفة النسبية والتغيير وعدم الثابت والاطلاق فليس هناك شئ أو حقيقة مطلقة وثابتة لديهم.

[٤] مطر ، أميره حلمي : فلسفة الجمال نشأتها وتطورها ، (دار الثقافة ، بغداد، ١٩٨٤) ، ص ١٤.

[٥] عبد الحميد ، شاكر: التفضيل الجمالي ، دراسة سيكولوجية التذوق الجمالي ، سلسلة عالم المعرفة (٢٦٧) (الكويت ، ١٩٩٩) ، ص ١٤.

[*] بروتاجورس (٤٢٠- ٤٩٠ ق.م) من أقدم فلاسفة السوفسطائيين واكثرهم ذكاء ، يقال أنه مات غارقًا ، أشتهر بقوله أن الطبيعة في تغير دائم والضدد الواحد ينتقل إلى الآخر.

[٦] ستيس ، وولتر : تاريخ الفلسفة اليونانية ، مصدر سابق ، ص ١٠٣.

[٧] مطر ، أميره حلمي : فلسفة الجمال نشأتها وتطورها ، مصدر سابق ، ص ١٥.

[*] جورجياس (٣٨٠ - ٤٨٠ ق.م) ، أحد فلاسفة السوفسطائين أشتغل بالخطابة والبيان من مطودي فلسفة الشك في كتابه عن اللا وجود ، أكد على وجود الشئ وأن وجد لايدرك ولا يمكن ايصاله إلى الأخر.

[٨] المرجع السابق ، ص ١٦.

[٩] مطر ، أميره حلمي : فلسفة الجمال نشأتها وتطورها ، المرجع السابق ، ص ١٦-١٧.

[*] سقراط (٤٧٠-٣٩٩ ق.م) ، فيلسوف يوناني ولد في اثينا أحدث ثورة في نفوس الشباب فاتهمه خصومه أنه أفسد عقول الشباب وسب الآلة فحكم عليه بالاعدام فشرب السم ومات في سجنه وقد أكد على مبدأ الغائية كما عارض فكرة

فالأشياء القبيحة قد تكون هي نفسها جميلة إذ كانت ذات نفع وفائدة[١٠]. فالقبح إذن يتجسد عند سقراط في مبدأ اللا نفعية بمعنى كلما ابتعدت الأشياء عن المنفعة كلما كانت أشياء منفرة وتفتقر إلى الجمال.

حيث يرى أن الأشياء المحسوسة في ابتعادها عن (المثل المطلقة) تصبح اكثر قبحًا[١١]. فكل ماندركه بحواسنا من جزئيات ، له صفات متعارضة فالتماثل الجزئي للجميل فيه بعض جوانب القبح ، بمعنى أن المثال كامل وحقيقي في حين أن الشئ الجزئي ناقص[١٢].

وفي تأكيد سقراط على ابتعاد القبح من المنفعة وربط الجمال بالمفيد ، يهاجم كل فن دعى إليه حركة التجديد وينتقد سقراط هذا الفن في تحرره من كافة قواعد الالتزام واهتمامه فيما يثيره من لذة ، موجهًا

انتقاده لمفهوم الجمال المحسوس ، الذي كان سائدًا عند الكثير من معاصريه[١٣]. ويتضح رفضه الفنون الغير ناقعة والباعثة للمتعة في رفضه للعزف على الناي أو القيثارة ، إذا يأخذ على كلينياس في محاورة جورجياس الشاعر الغنائي ، أنه لم يكن يسمع مستمعيه أي شئ من الممكن أن يجعلهم أفاضل[١٤].

أما (أفلاطون)[*] (٣٢٧-٣٤٧ ق.م) فلقد كانت وجهة نظره فيما يتعلق بالقبح تختلف عن تلك النظرة القائلة بأن ماليس بجميل فهو قبيح. وذلك بسبب نظرته إلى الجمال نظرة موضوعية ، بعيدة كل البعد عن تلك الصورة الحسية الذاتية ، فهو من هذه الزاوية كان يرى القبح في صورته الموضوعية بمعنى أنه حال انتفاء الجمال عن الأشياء لا يعني مجرد قبحها ، وإنما تمثل حدًا وسطًا بين نقطتين متباعدين[١٥]. وهذا يعني أن الأشياء عند افلاطون ليست قسمين جميلة وقبيحة ، بمعنى أن ما ليس جميلاً يكون قبيحًا ، وإنما هناك مرحلة يخلو فيها الشئ عن كلا الوصفين وهذا يوضح أن الجمال عند (أفلاطون) في الأشياء يتفاوت فيها إلى أن يصل إلى مرحلة يفقد فيها الشئ صفة الجمال ، ولكنه لا ينتقل إلى مرحلة الدنيا، مرحلة القبح[١٦]. وهذا يعني أن ماليس جميلاً لايكون في نظر أفلاطون بالضرورة قبيحًا طالما أن هناك تدرج في الجمال من الجمال المثالي إلى الجمال بالمحسوسات حيث تفاوت نسب الجمال وصولاً إلى مرحلة ينعدم به الجمال والقبح على حد سواء.

أن الفن غاية في ذاته ولا وسيلة لتحقيق غاية أخرى وقد خرج بنظرية بأن الفن ماكان منه صناعيًا أو جميلاً له وظيفة تخدم الإنسانية.

[١٠] عده ، غاده المقدم : فلسفة النظريات الجمالية ، ط ١ (جروس بيرس ، طرابلس ، بيروت، ١٩٩٦)، ص ٤٥.

[١١] حيدر ، نجم عبد : علم الجمال ، آفاقة وتطوره ، ط ٢ ، (جامعة بغداد ، بغداد ، ٢٠٠١)، ص ١٧.

[١٢] رسل ، برتراند : حكمة الغرب ، ج١ ، ط ٢ ، سلسلة عالم المعرفة (٦٢) ، ترجمة : فؤاد زكريا ، (مطابع دار السياسية ، الكويت ، ٢٠٠٩) ، ص ١٠٧.

[١٣] أفلاطون ، فايدروس ، ترجمة : أميره حلمي مطر (دار المعارف ، القاهرة ، ب) ، ص ٨.

[١٤] أفلاطون ، محاوره جورجياس ، ترجمة : محمد حسن ظاظا ، مراجعة: على سامي النشار، (الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، ١٩٧٠) ، ص ١١٧ - ١١٨.

[*] أفلاطون فيلسوف يوناني ، ولد في أثينا أشتهر في البدء بالسياسة لما وجده من سخط في عصره نظرًا للمستوى الوضيع الذي آلت إليه السياسة في عصره فهو فيلسوف مثالي يسعى لقيام مدينة فاظة ، وأشتهر بفلسفته المثالية حيث انعكست على معظم كتبه منها الجمهورية والقوانين.

[١٥] حسن ، حسن محمد ، الأصول الجمالية للفن الحديث ، (دار الفكر العربي ، القاهرة ، ب ت) ، ص ١٣٥.

[١٦] اسماعيل ، عز الدين ، الأسس الجمالية في النقد العربي ، ط١ (دار الفكر العربي، القاهرة ، ١٩٥٥)، ص ٣٦-٣٧.

قد أكد أفلاطون على أن هناك مثلا لكل من القبح والجمال في الوقت الذي يكون هناك مثلا (للشعر والقذارة) ولما كانت (هذه المثل الهية وكاملة مثل مثال الجمال) فإننا يجب حسب هذه النظرية أن نبتهج بالقبح والقذرة والمزح مع المرح الماثل الذي نعيشه في حضور الجمال ، ولا نجد عند أفلاطون سببًا يجعل الأمر ليس هكذا[١٧]. وهذا يعني أن للقبح مثال هو أزلي وخالد كمثال الجمال فعلى نحو مماثل فالمنظر القبيح قد يملؤنا فرحًا وهيامًا ويبهج مشاعرنا مثل رؤية الجميل. فالمثل عند أفلاطون لا تقتصر على الأشياء العقلية كالجمال والحيز والعدل ، ولكنها تشمل الصفات كالسواد والبياض والأشياء المصنوعة كالمقاعد والموائد والملابس بالإضافة إلى القبح والظلم وأصناف الاقذار[١٨].

إن نماذج الأشياء القبيحة والرديئة في عالم المثل يؤكدها أفلاطون في محاورته مع سقراط حينما يتساءل هل للأشياء القبيحة مثال ، فيرد عليه أفلاطون قائلاً "إنك مازلت شابًا ياسقراط ، وحينما تتقدم بك السن ستقبل أن تكون هناك نماذج للأشياء القبيحة"[١٩].

كما حارب أفلاطون الفنون التي تفسد عقول متذوقيه نظرًا لتأثير الفن عنده في الذوات فجعل من الفن الجميل فنًا فاضلاً ، لا أداة للفساد. فمثل هذه الفنون تؤثر في اخلاقيات الناس غير إن وجهة نظره لمفهوم القبح مغايرة عن سابقيه في كون الأشياء التي ليست بجميلة قبيحة بالضرورة وإنما الجمال يتفاوت والقبح كذلك وصولاً لمرحلة ينعدم الشئ فيها عن الجمال والقبح.

أما أرسطو[*] (٣٣٢ - ٣٨٤ ق.م) جعل من القبح أساس للكوميديا[٢٠]. فلم يشترط في الفن أن تكون موضوعاته تحاكي أشياء جميلة أو عظيمة بالضرورة إذ شملت المحاكاه لديه كل أنواع الموضوعات الفنية، فمحاكاة بعض الأشياء القبيحه قد تصبح محاكاة جميلة[٢١]. فالبطل الكوميدي عند أرسطو ليس مشروطًا عليه أن يحمل صفات النذله بل هو إنسان تعس لا أهمية له وفي المقابل قد يكون له جدارته، إلا أن هناك شئ وضيع فيه يجعلنا نضحك ، إلى جانب ذلك تعد التراجيديا مصدر لتطهير الذات من خلال مشاعر الشفقة والخوف والرعبه[٢٢]. فالتراجيديا الأرسطية تعني تطهير النفس من جوانب الضعف الإنساني[٢٣].

أن موضوعات التراجيديا التي تحمل قدر من الوضاعة والخوف لا تجعل منا أشخاص نباله بقدر ماتظهر الذات بعرضها لمعاناة عظيمة تبعث شعور من الشفقة والرعب والخوف اللذان يجعلنا من الروح اكثر نقاء وطهارة[٢٤]. وبهذا المعنى تكون التراجيديا خلاص للذات من

---

(١٧) ستيس ، وولتر : تاريخ الفلسفة اليونانية ، مرجع سابق ، ص ١٧٥.

(١٨) أمين ، أحمد ، وآخر : قصة الفلسفة اليونانية ، ط ٧ ، (السلسلة الفلسفية ٦ ب) ، ص ١١٢.

(١٩) عباس ، روايه عبدالمنعم : الحس الجمالي وتاريخ الفن ، ط١ (دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٩٨) ، ص ١١٥.

(*) أرسطو فيلسوف يوناني تأثر بـ (أفلاطون) ثم تعارض معه في بعض الآراء ويعد أرسطو الفيلسوف الجامع لكل فروع المعرفة الإنسانية ويمتاز بدقة المنهج والاستناد إلى التجربة الواقعية وهو واضع علم المنطق ، ولقب بالمعلم الأول واعتبر أن الإنسان هو الفن القادر على التقليد والمحاكاة.

(٢٠) ستولينتز ، جيروم : النقد الفني ، دراسة جمالية وفلسفة ، ترجمة : فؤاد زكريا (مطبعة عين شمس ، ١٩٧٤) ، ص ٤٠٧.

(٢١) مطر ، أميره حلمي : في فلسفة الجمال من أفلاطون إلى سارتر (دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٤) ، ط ب ، ص ٨٥.

(٢٢) ستيس ، وولتر : تاريخ الفلسفة اليونانية ، مصدر سابق ، ص ٢٦٨.

(٢٣) عياد ، محمد شكري : أرسطو طاليس ، (دار الكتاب ، القاهرة ، ١٩٦٧) ب ط ، ص ٥-٦.

(٢٤) ستيس ، وولتر : تاريخ الفلسفة اليونانية ، مصدر سابق ، ص ٢٦٩.

شرورها ، وتطهيرها من جميع انفعالاتها التي إن تركت بدون تطهير تخلف سمومًا في النفس البشرية.

أن المحاكاة الأرسطية تشمل جميع أنواع الخلق الفني سواء القبيحة منها أو الجميلة ذلك أن محاكاة بعض الأشياء القبيحة قد تكون محاكاة جميلة[٢٥]. على اعتبار أن الأشياء المؤلمة مشاهدتها في الواقع قد تبعث السرور بقدر رؤيتها مقلده في صورة فنية دقيقة عن ذاك الواقع كما في رسوم الحيوانات والاجساد الميتة والمنفرة[٢٦]. فما كان قبيحًا مؤذيًا في الواقع قد يكون سارًا وجميلاً وممتعًا في الفن بفضل عنصر المحاكاة وقدرته جماليًا على إثارة ذلك السرور. فالفن ليس بالضرورة أن يقف عند الحرفية في المحاكاه بل جاء الفن لكي يكمل مالا تستطيع الطبيعة أن تحققه[٢٧]. فالفن عند أرسطو يحاكي جميع أنواع الطبائع الإنسانية فهو يحاكي الذوات الفاضلة والأفعال النبيلة كما يحاكي الذوات الخسيسة والشريرة الذين "انشئوا الاهاجي" بينما أنشأ الأخرون الأناشيد والمدائح[٢٨]. فالفنان إذا يحاكي الأشياء والأشخاص على أساس "أن المحاكاة أمر فطري موجود عند الناس منذ الصغر والإنسان يفترق عن سائر الأحياء بأنه أكثر محاكاة"[٢٩]. وبهذا يمكننا القول أن أرسطو أشار إلى ضروة تصوير القبح في الفن وذلك من خلال جمال التصوير ذاته ، حين يجسد الجمال بقوته المتنافرة فيجمع بذلك نوعي من المحاكاه للذوات القبيحة والجميلة فلم تقتصر المحاكاة عنده على الجمال فحسب بل شملت القبح الإنساني في الفن.

في حين نجد القبح عند (افلوطين)[*] (٢٠٥-٢٠٧) كل ماهو خالي من الصورة المعقولة ، وكل مايخلو من عالم العقل والروح لا يكون جميلاً ولا موجودًا ذلك أن الوجود كله يدين لقوانين العقل أي عالم العقل ، وبذلك فهو ينفي القبح من العالم الظاهري المحسوس والسبب في ذلك هو أن الموجودات جميعها

توجد بفضل مشاركتها للحقيقة العقلية التي هي مصدر اتحاد كل من الجمال والخير بالوجود[٣٠]. فكل مايتجسد بفكرة معقولة عن افلوطين هو مايحمل الجميل ذلك أن الشئ المصور هو الجميل والقبيح هو ذلك الشئ الخالي من الصورة المعقولة. فالقبح بذلك المعنى هو الشئ الذي لا ينطوي على صور محددة ولا يتصل بالعقل[٣١]. فالمادة تكون قبيحة لدى افلوطين لأنها لا تحتوي في ذاتها على نظام ومبدأ التشكل وهي بذلك ميته[٣٢]. وعلى نفس المنوال تكون النفس حيث تكتسب قبحها من خلال امتزاجها بالمادة وارتباطها بالجسم[٣٣]. ويوضح (افلوطين) كيف تكون المادة هي أساس القبح وتكتسب النفس قبحها من اختلاطها بالجسم والمادة في قوله "أن

---

[٢٥] مطر ، أميره حلمي : فلسفة الجمال إعلامها ومذاهبها ، ط ب (المكتبة العربية : ١٩٩٧) ، ص ٨٣.

[٢٦] حسن ، حسن محمد : الأصول الجمالية للفن الحديث ، مرجع سابق ، ص ١٩٠-١٩١.

[٢٧] مطر ، أميره حلمي : فلسفة الجمال ، إعلامها ومذاهبها ، مرجع سابق ، ص ٧٩.

[٢٨] أرسطو ، ترجمة : أبي بشر متى ، مراجعة : شكري محمد عياد ، ب ط (دار الكاتب، القاهرة ، ١٩٦٧) ، ص ١٣.

[٢٩] المرجع السابق ، ص ٣٦.

[*] افلوطين فيلسوف روماني ، مصري النشأة ، تتلمذ على يد (امونيوس سكاس) مؤسس "الافلاطونية المحدثة" ، وهو أبرز ممثلها فلسفته تسعى إلى إفناء الذات وصول إلى الوحدة الآلهية وكل ماهو موجود متناه ماعدا الخالق.

[٣٠] مطر ، أميره حلمي : فلسفة الجمال إعلامها ، مرجع سابق ، ص ١٠٧- ١٠٨.

[٣١] المرجع السابق ، ص ١٠٦.

[٣٢] الربضي ، أنصاف جميل : علم الجمال بين الفلسفة والإبداع ، مرجع سابق ، ص ٧٤.

[٣٣] مطر ، أميرة حلمي : فلسفة الجمال نشأتها وتطورها ، مرجع سابق ، ص ٩٩.

القبح بالنسبة للنفس هو إلا تكون نظيفة ولا طاهرة ، وكذلك الذهب قبحه يكون في امتزاجه بالتراب ومتى نزعناه عنه يصبح نظيفًا ، ويكون جميلاً إذا ماظهرنا من المواد الأخرى وأمسى وحيدًا مع ذاته"[٣٤]. وبهذا تكون المادة هي ينبوع القبح لديه.

كما يشير (افلاطين) إلى مستويات الجمال حيث أن للجمال في الأشياء درجات تهبط متسلسلة من الجمال المطلق إلى أن تبلغ مستوى القبح ، كل درجة تكون أقل جمال من سابقتها محللاً ذلك بأن شأن الجمال في التدرج كشأن النور الذي يكون متوهجًا ، ثم يضعف تدريجيًا ويضعف شعاعة ويحل الظلام محل النور[٣٥].

وعلى الرغم من ذلك أن افلوطين لم يلعن القبح في تصوره الجمالي بل تظهر عبارات له تفيد تصريحه بوجود القبح. حيث يرى بأن النور قد يشع في الصور المشوهة وقد لا يكون التناسق الحسي الظاهري جميلاً ، وذلك لأن مايكون مشوهًا في الحس قد يشير إلى الجمال فيما وراء الحس[٣٦]. وهنا تصريح مباشر لوجود القبح في الجمال من خلال اشعاع النور والجمال في صوره المشوهة ذلك لأن خلف الصور والملامح المشوه والقبيحة والمنفره يكمن جمالاً يشبه النور خلف الظلام وكأنه يؤكد على الجمال الباطن لا الحسي.

وفي صدد قوله بالجمال الباطن في القبح عبارته الشهيرة القائلة "إذ نظرت إلى وجه المرء رأيته قبيحًا، فتدع النظر إلى صورته الظاهرة وتنظر إلى صورته الباطنة ، فتعجب فيها. فإن لم تلق بصرك إلى باطن المرء والقيت بصرك إلى ظاهرة لم تشاهد صورته الحسنة ، بل تشاهد صورته القبيحة فتنسبه إلى القبح ولا تنسبه إلى الحسن ، فتكون حينئذ مسيئًا ، ولم تشاهد حسن باطنه فتتحسنة ، وإنما الحس الحق هو الكائن في باطن الشئ لا في ظاهره"[٣٧]. وبهذا يمكننا القول أن افلوطين بالرغم من انه جعل القبح أدنى مراتب الجمال إلا انه جعل منه وقفة تأملية للوصول إلى الجمال الحق من خلال ذلك النقص لكي نصل إلى طريق الرشاد وهو الجمال الباطن لا الجمال الحسي من خلال ذلك التأمل الباطني.

ويرفضون فلاسفة العصور الوسطى الخوض في موضوعات كالقبح كونها موضوعات مخالفة للتعاليم الدينية. إلا أننا نلاحظ (أوغسطين)[*] (٣٥٤-٤٣٠) قد خاض في مسألة موضوع القبح من خلال الشكل ، فالشئ الذي لا يملك شكلاً مناسبًا من نوعه يعد ناقصًا في الجمال ، ولا يطلق عليه قبيحًا على الاطلاق ، وأن مثل هذه الأشياء لا ترى منفردة بذاتها ، وإنما كجزء من المحيط الموجود. فالقبح حسب وجهة نظره وجد ليزين جمال العالم. ويستعمل (أوغسطين) نفس هذه

---

[٣٤] باير ، ديمون : تاريخ علم الجمال من خلال الفلسفة والنقد والفن ، ط١ ، ترجمة : ميشال عاصي ، وآخر (دار نلسن ، بيروت ، ٢٠٠٨) ، ص ١٢٠.

[٣٥] حسن ، حسن محمد : الأصول الجمالية للفن الحديث ، مرجع سابق ، ١٢٠.

[٣٦] مطر ، أميره حلمي : في فلسفة الجمال من افلاطون إلى سارتر، مرجع سابق ، ص ١٠٥.

[٣٧] بدوي ، عبدالرحمن : افلوطين عند العرب ، ط٣(دار العلم ، بيروت ، ١٩٧٧) ، ص ٦١.

[*] أوغسطين فيلسوف مسيحي لاهوتي اعتمدت فلسفته على الغاية من السعادة تكمن في الحكمة التي هي السبيل إلى طمآنينة الذات ولا يصل الإنسان للسعادة إلا بمعرفة ذاته حيث رأى أن كل مافي الكون قائم على النظام والقياس والعدد.

الجدلية مع الحيوانات المفترسة ، فهي لا يمكن أن تكون مفتقره للشكل غير أنها تعتبر قبيحة بسبب ماتثيره من نفور وإستياء برؤيتها[٣٨].

ويجد أوغسطين في الفضول مدخل لتحاشي الجمال حيث يذهب لنقيضه فينجذب المشاهد نحو المناظر غير المألوفة كالجثث والأطراف المبثورة وقد كان البحث نحو المنفر والغريب والمثير للخوف والاشمئزاز هو الذي يقف وراء هذا الدافع الذي يثير الشك في الغير مرغوب فيه لأسباب دينية والمسمى بـ (حب الاستطلاع العقلي) وهذا ماذهب إليه فرويد في ربطه بحالات التلصص والفضول[٣٩]. وبهذا المعنى يكون أوغسطين من ضمن الفلاسفة الذين جعلوا من القبح قيمة استطيقة لمساهمته في تحقيق التوازن بين المناقضات في هذا العالم ذلك أن الجمال بحاجة إلى القبح لكي نصل إلى الكمال.

أما في العصور الحديثة فقد أجمع معظم الفلاسفة على نسبية الجمال. فنجد (ديكارت) [*] (١٥٩٦-١٦٥٠) يرى أن معرفتنا الحسية للعالم الخارجي ، ليست يقنية ، بسبب خضوعها للحواس التي تثير فينا أحاسيس ليست إلا كناية عن أفكار مبهمة ، غير مطابقة للواقع ، كالأفكار الدارة حول الضوء والصوت واللون والالم والرائحة، لهذا فمعرفتنا الحسية بالخارج هي معرفة غير صحيحة. في حين أن معرفتنا الصادرة عن العقل هي تلك المعرفة الصحيحة[٤٠].

لهذا كان الموقف الجمالي عند (ديكارت) يتسم بالطابع الذاتي والنسبي من حيث تدخل الاهواء والاحاسيس الفردية في تقديرنا للجمال[٤١]. إذ الجمال وفق لذلك متغير ونسبي وفق تغير الاذواق.

إن الحكم الجمالي يختلف من مجتمع لآخر حسب الذوق والمزاج العام لمتذوقيه[٤٢]. حيث يصبح الحكم معتمدًا على أهواء الأفراد وتاريخهم الشخصي وذكرياتهم ، وليست هناك قاعدة كلية شاملة لاحكام الجمال. ويصبح الحكم الجمالي خاضعًا لمحصلة أعجاب المتذوقين ، الأمر الذي ينفي عنه طابع الموضوعية ويؤكد على نسبيته المطلقة[٤٣]. إذ ماهو جميل عند البعض يعد قبيحًا لدى البعض الآخر ، كذلك القبح يتغير حسب تغير اذواق المجتمعات إذ لا يوجد معيار ثابت لقياس ماهو جميل أو قبيح فالحكم على قبح أو جمال الأشياء ، خاضع للنسبية ومتغير وفق للأشخاص والأزمنة.

وفي هذا الصدد يؤكد (ديكارت) على التغير والنسبية لمفهومي القبح والجمال من خلال (ملخص الموسيقى) : "أن الصوت الموسيقي الذي يعد مصدر للجمال والفن ، يمكن أن يسبب ألمًا وضيقًا عند سماعه بأيقاع عالي أو مشوش ، وعندها تتحول المتعة الفنية إلى اضطراب وألم

---

(٣٨) Edwards, Paul : The Encyclopedia of Philosophy, MacMillan Publishing (Ollier MacMillan Publisher, New York, London, 1967, p. 174.

(٣٩) عبدالحميد، شاكر: عصر الصورة ، الايجابيات والسلبيات ، سلسلة عالم المعرفة ، (٣١١)، (مطابع السياسة ، الكويت ، ٢٠٠٥) ، ص ٩٣.

(*) ديكارت ولد في فرنسا اشتغل في الرياضايت ثم اتجه إلى الفلسفة حيث اخضع الطبيعة للأهداف العلمية وهو أبو الفلسفة الحديثة صاحب العبارة الشهيره (انا افكر فأذن انا موجود) وعن طريقه استنتج منها وجود المعرفة ووجود الله.

(٤٠) فضل الله ، المهدي : فلسفة ديكارت ، ط ٣ (دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٩٦) ، ص ١٥٨.

(٤١) أبو ريان ، محمد على : فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة ، ط ٨ (دار المعرفة ، الاسكندرية ، ١٩٨٩) ، ص ٢٥.

(٤٢) عباس ، راويه عبدالمنعم : القيم الجمالية (دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٧) ، ص ٨١.

(٤٣) أبو ريان ، محمد على : فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة ، مرجع سابق ، ص ٢٨.

في الأذن ، دون أدنى شعور باللذة أو السعادة. وكذلك فإن هذا الموقف يمكن أن يحدث في حالة سماع الصوت المنخفض الذي لا يكاد يسمع فأنه لا يثير في النفس أي شعور باللذة أو التذوق ، لأن الأذن لا تستريح له ولا تتقبل سماعه"[٤٤].

كما يرى (لابنتينز)[*] (١٦٤٦-١٧١٦) أن القبح قد يلجأ الفنان إلى استخدامه في الظلال أو قد يستخدم اصواتًا منفرة ، وذلك لاظهار التناسق في الألوان من خلال لوحاته ، أو لتبيان الانسجام في معزوفته. وبالتالي يصبحان كلاهما أكثر جمالاً وذلك بالاعتماد على ماهو قبيح في ذاته. فنحن لا يمكننا إدراك قيم الأشياء الجميلة إلا إذ ادركنا النفور الذي تسببه لنا الأشياء القبيحة ، لهذا يكون القبح ضروريًا لكي ندرك قيمة الجمال[٤٥].

أن القبح ماهو إلا نقص يكمل الوجود كما هو الحال مع الشر في فلسفة (لانتينر) [٤٦]. فالشر يعطي للخير قيمته ويكسبه عظمه وأجلالاً[٤٧]. ومن ثم نجد أن القبح ماهو إلا مساهمة في أحداث الكمال العام، وكأنه الظلال في لوحة فنية[٤٨]. وبهذا المعنى يصحب القبح مكملاً للوجود من خلال ذلك النقص الذي يفرزه لمعرفة مواطن الجمال في الوجود فالطبيعة الذاتية للقبح تعتبر مساهمة في خلق الكمال والوصول إليه وبهذا يكون القبح هو جزء من حلقة الوجود.

على الرغم من إن معظم الأطروحات الفلسفية والجمالية في الفكر الفلسفي والجمالي جاءت معظمها مقتصرة على القيمة الجمالية للجمال في الفن والحكم على الأشياء الجميلة. غير أن القرن التاسع عشر قد جاء بمفهوم جديد للأستطيقا على يد (باومجارتن)[*] (١٧١٤-١٧٦٢) حيث لم يقتصر فهمها على الجمال فحسب في موضوعاتها بل دخل مفهوم القبح في ميدان الاستطيقا ، فصار القبح الاستطيقي لا يختلف في شئ عن ذلك الجميل الاستطيقي. وهذا مايعبر عنه بجمال القبح[٤٩].

ويوضح (باومجارتن) في كتابه (الميتافيزيقا) أن الجمال بمفهومه الضيق ماهو إلا الكمال الواضح للذوق ، والقبح هو النقص المقابل له. لهذا فالجمال يعد متعة للناظر بينما يبعث القبح على الضيق بالإضافة إلى اعتباره أن النقص في المعرفة الحسية هو ذاته القبح بمعنى أن الأشياء القبيحة وفق هذا المعنى يمكننا التفكير بها بصورة جميلة كما أن الأشياء الجميلة يمكن التفكير بها بشكل قبيح[٥٠]. متى تحقق لنا المعرفة والإدراك الصحيح لمعنى القبح والجمال.

---

[٤٤] عباس ، راويه عبدالمنعم : الحس الجمالي وتاريخ الفن ، دراسة في القيم الجمالية والفنية ، ط ١ (دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٩٨) ، ص ٩١-٩٢.

[*] لابنتينز (١٦٤٦ - ١٧١٦) : فيلسوف الماني كان واسع الاطلاع متعمقًا في مختلف العلوم. فكان مورخًا وسياسيًا ورجل دين عد أعظم فلاسفة المانيا في القرن السابع عشر نادى بمذهب المونادات أو الذرات ويتلخص هذا المذهب في أن العالم يتكون من ذرات يطلق عليها مونادات.

[٤٥] الربضي ، أنصاف جميل: علم الجمال بين الفلفسة والابداع ، مرجع سابق ، ص ٩٤ - ٩٥.

[٤٦] لويس ، جنفياف روديس : ديكارت والعقلانية ، ط ٤ ، ترجمة : عبده الحلو ، (منشورات عويدات ، بيروت ، ١٩٨٨) ، ص ١٤٣.

[٤٧] الربصني ، أنصاف جميل : علم الجمال بين الفلسفة والابداع ، مرجع سابق ، ص ٩٥.

[٤٨] لويس ، جنفياف ، روديس : ديكارت والعقلانية ، مرجع سابق ، ص ١٤٣.

[*] باومجارتن (١٧١٤ - ١٧٦٢) : فيلسوف الماني أبحاثه تدور حول علم الجمال ويعتبر أول من وضع مصطلح الاستطيقي وهو أول من وضع القواعد والمعيار الاولى لعلم الجمال ذلك العلم الذي يدرس الجمال في الفن والطبيعة.

[٤٩] الربضي ، أنصاف جميل: علم الجمال بين الفلسفة والابداع ، مرجع سابق ، ص ٢٥٢.

[٥٠] اسماعيل ، عزالدين : الأسس الجمالية في النقد العربي ، مرجع سابق ، ص ٥٣-٥٤.

كما يدخل القبح في نطاق الجمال عند (لسنغ)[*] (١٧٢٩-١٧٨١) ذلك من الوهلة الأولى ، فأن القبح هو تنافر تلك الأشياء وعدم تناسقها وللقبح نوعين يميزهما (لسنغ) : الأول القبح البرئ الغير ضار حيث يدخل في لعبة الضحك الساخر ، والآخر القبح الضار الذي يختار لذاته ولابد من الشاعر ان يتجنبه. أما قضية القبح فتقوم عند الفنان على مدى معرفته ما إذ كانت تناولها لا تثير المتعة عن طريق التقليد والمحاكاة[٥١].

أن القبح لا يكتسب شرعيته بهذا المعنى إلا إذا أفضى إلى السخرية كما هو الحال في الرسم الكاريكاتيري ، أو كما نجده في المسرحية المأساوية المؤدية إلى الكراهية الدافعة إلى الانفعال إلى أقصى درجاته. إلا أن (لسنغ) في مفهومه للقبح الشعري يخفف من حدته ، فيرى أن الشعر لا يتوقف عند القبح إلا ليتجاوزه سريعًا. ويعود لكي يقيس على ذلك في شعر القدامى ومايوجد به من أشياء قبيحة، تبعث فينا شعور النفور والاشمئزاز وعلى الرغم من هذا فهي تنسجم مع غيرها من الأشياء لكي تثير فينا شعور الخوف والكراهية[٥٢].

أن القبح هو ذلك الشئ الذي يعطينا شعورًا من الألم والضيق ، بينما الجمال هو الشئ الباعث عن اللذة والسرور كما عرفه الفيلسوف الانجليزي (هيوم)[*] (١٧١١-١٧٧٦) حيث أكد على ملازمة كل من اللذة والألم في تحديد ماهية وجود كل من الجمال والقبح[٥٣].

ويرى هيوم أن هناك اتفاق على الأشياء القبيحة رغم تباين الاذواق والسبب في ذلك هو أن هناك معيار مشترك للذوق ، ذلك المعيار هو الذي يخلق الاجماع على تفرد بعض من الأعمال الفنية عبر التاريخ والثقافات المختلفة. ويعود ذلك المعيار إلى الطبيعة المشتركة بين البشر ، فهناك ميول رغم التفاوتات بين البشر لأننا نفضل أشياء ونرفض الأخرى ، فيما يحدث المتعة تميل إليه ، ويحدث العكس للأشكال التي ليست كذلك أي القبيحة[٥٤].

أما كانط[*] (١٧٢٤-١٨٠٤) على الرغم من أنه عرف الجميل بأنه "ذلك الذي يمنح الرضى بشكل شامل ، دون أن يكون له مفهوم"[٥٥]. غير انه في مواقع أخرى يوضح بأن الفن الجميل يمكن أن يصف الأشياء القبيحة أو المنفرة على نحو جميل في لوحات فنية ، ولكن يوجد نوع لا يمكن تمثيله وفق الطبيعة من دون أن يدمر فينا كل ارتياح جمالي ، وبالتالي الجمال الفني أيضًا وهو القبح الذي يثير الاشمئزاز. ففي هذا الاحساس الغريب القائم على التخيل لاغير ، نتمثل الشئ وكأنه يقتحم ذاته ليمتعنا في حين نجاهد انفسنا من أجل مقاومته وبهذا يتبدد الفارق بين

(*) لسنغ : فيلسوف الماني كان اهتمامه يرتكز على فنون الكلام واللغة والأدب اصدر كتابه الذي يعد مقدمة في علم الجمال الشهير بـ (اللاوكون) حيث درس مسائل الفن ومايثيره الأثر الأدبي في الشعور وسيكولوجية الجمال.

(٥١) باير ، ريمون : تاريخ علم الجمال ، مصدر سابق ، ص ٢٩٠.

(٥٢) المرجع نفسه ، ص ٢٩٠.

(*) هيوم فيلسوف انجليزي تأثرت فلسفته بأداء (لوك) و (بركلي) أنكر وجود الله ومبدأ السببيه كما انكر الافكار الفطرية وأكد على أن الحس هو المصدر للمعرفة ، أهم كتبه كانت (بحث في الادراك الانساني) و (مقالات سياسية).

(٥٣) أحمد ، محمود سيد : الاخلاق عند هيوم ، (دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٢) ، ص ٦٠.

(٥٤) عبدالحميد ، شاكر : التفضيل الجمالي ، مرجع سابق ، ص ٨٨-٨٩.

(*) عما نوئيل كانت (١٧٢٤ - ١٨٠٤) : فيلسوف الماني درس فلسفة (ليبنتز) و (ولف) وطبيعيات (نيوتن) وفي سنة (١٧٧٠) أصبح استاذًا للمنطق والميتافيزيقا في جامعة كونجزبرج ، أهم مؤلفاته (نقد العقل الخالص) و (نقد العقل العملي) و (نقد ملكة الحكم).

(٥٥) Kant : The chitic of Judgment, translated with analogical indexes by James Greed Meredith, Clarendon Press,Oxford, 1952, p. 219.

التمثيل الفني للشئ وطبيعته نفسها في اجسامنا ، وهذا مالا يمكن بعدها أن يكون جميلاً[٥٦]. وهذا يعني أن كانط يرى بأن الموضوعات القبيحة في الفن أن لم نكن نستطيع التغلب على قبحها لا يمكن أن نستطيع وضعها في صورة جميلة فهي بذلك تدمر كل متعة استطيقة أي جمالية يمكننا الوصول إليها فنيًا.

وقد أكد كانط أن المثاليون أتجهوا نحو تصوير أشد الموضوعات هولاً كالحروب والموت بصورة رمزية جميلة ترتاح لمرآها الاعين ، وأن كانت هذه الصور لا تستند إلى الحكم الجمالي فحسب وإنما إلى التفسير العقلي بشكل مباشر[٥٧]. فالفن فيما ينتجة يكاد يستعيض بالقبح ، كتمثيل الموت تجسيدًا في هيئة ملاك جميل ، وحب الحرب (في هيئة مارس) بواسطة صفات ذات واقع مرضى[٥٨]. بحيث تجسد القبح في صورة جماليه بطريقة رائعة تحول دون ظهوره في الأصل.

ويرى كانط أن هناك البعض من الظواهر التي تثير فينا الرعب والخوف (والذي تعد سمة من سمات القبح) قد تزاد جاذبية في مظاهرها وفق ازدياد الروع الذي تثيره على الرغم من انها مشوهه من ناحية الشكل أو فاقدة للشكل أو تكون فوضوية[٥٩].

ومن جهة أخرى فأن فلسفة كانط الجمالية اكدت على أن الحكم على الجميل ماهو إلا حكم ذاتي متغير من شخص إلى آخر. إذ ليس من الممكن وضع قاعدة عامة للتعرف على جمال شئ ما[٦٠]. فالجمال ماهو إلا الصورة الغائية لموضوعه لا غاية أخرى له ، فالجميل موضوعه المتعة التي لا غاية ولا منفعة فيه له كما هو الحال في الشئ اللذيذ ، ولا علاقة له بالمصلحة الاخلاقية كما هو الحال في الخير[٦١]. وبهذا المعنى يفقد الجمال جماله بمجرد ارتباطه بالمنفعة عند كانط فيكون الجمال المحض غايته في ذاته بعيدًا عن أي غرضية أو نفعية.

أما مفهوم القبح قد أصبح اكثر وضوحًا وتوسعًا على يد هيجل[*] ، حيث ارتبطت نظريته الاستطيقة بمفهوم القبح من خلال التغلب على مشكلة القبح والانتقال من المجرد إلى المحسوس. ويظهر ذلك الأمر حين جعل هيجل من مسألة الحيوية الفاصل بين مشكلة القبح والجمال وأقامها على اساس طبيعة الموجودات ، فأول صورة يكون جمالها أقل نسبية هي الجمادات ، مقارنة بالكائنات الحية التي تتزين بلون الكون وهي النباتات وهي أقل جمال من الحيوانات، في كون الحيوانات أكثر حيوية ، ثم يأتي دور أجمل المخلوقات والذي يتمتع بأكبر قدر من الحياة وهو الإنسان[٦٢]. أن القبح قد يكون له لاقة وثيقة بالمضمون، إذ ليس ثمة مايحول دون أن يكون القبح موضوعًا للتمثيل والتصوير[٦٣].

---

[٥٦] كانط ، امانويل : نقد ملكة الحكم ، ترجمة : غانم هنا ، ط١ (المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، ٢٠٠٥) ، ص ٢٣٨.

[٥٧] إبراهيم ، زكريا : كانط أو الفلسفة النقدية ، عبقريات فلسفية (١) ، (مكتبة مصر ، القاهرة، ١٩٦٣) ، ص ٢٨٦.

[٥٨] كانط ، امانويل : نقد ملكة الحكم ، مرجع سابق ، ص ٢٣٨-٢٣٩.

[٥٩] جمينيز ، مارك : ما الجمالية ، ترجمة : شربل داغر ، ط١ (المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، ٢٠٠٩) ، ص ١٥٩-١٦٦.

[٦٠] بدوي ،عبدالرحمن : فلسفة الجمال والفن عند هيجل ، ط١ (دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٦) ، ص ٨.

[٦١] هلال ، محمد غنيمي : النقد الأدبي الحديث ، (دار الثقافة ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٩٦) ، ص ٣٠٠ -٣٠١.

[*] هيجل (١٧٧٠ - ١٨٣١) : فيلسوف الماني ، ولد في ستجارت درس الفلسفة واللاهوت ، واللغات القديمة ومن أبرز مؤلفاته (فلسفة الفن) و (فلسفة العقل) و (فلسفة التاريخ) و (تاريخ الفلسفة) و (علم الجمال).

[٦٢] اسماعيل ، عزالدين : الأسس الجمالية في النقد العربي ، مرجع سابق ، ص ٥٧-٥٩.

[٦٣] هيجل : المدخل إلى علم الجمال ، (ترجمة : جورج طرابيشي ، ط ٢ (دار الطليعة، بيروت ، ١٩٨٠) ، ص ٩٢.

إن القبح عند هيجل (نسبي) والأشياء القبيحة هي المناقضة للخصائص الحيوية أو كما اعتدنا أن نعده صوره أو صفة للوجود الحي[٦٤]. فالفن يجلعنا ندرك الشقاء والبوس والشر وكل ماهو مخيف ومرعب[٦٥].

أن العمل الفني مهما كان الأشياء التي يحاكيها قبيحه ، فأنها لا تجعل منه قبيحًا ذلك لأن العمل الفني قيمته الجمالية تكاد تكون منفصلة عن قبح أو جمال الشئ[٦٦]. وهذه الجزئية عند هيجل تؤكد على أن القبيح يمكن أن يكون مادة للعمل الفني طالما أن القيمة الجمالية للعمل الفني بمعزل عن جمال أو قبح الشئ. وهذا مايجعل الفنان قادرًا على تغيير مظهر القبح بقوة التعبير التي ستنعكس عليه في تصويره للقبح.

ويرى هيجل أن الفنان الذي يحاول التعبير عن الجمال الروحي ، يكون لديه القدرة على تغيير مظهر القبح أو شكله الخارجي بقوة النفس التي ستنعكس عليه ، ذلك أن محتوى الرسم أو مضامينه تكاد تنطوي على نسبة من القبح والشذوذ اللذان لا مناص للرسام من استخدامها في بعض من الأحيان في تجسيده لشخص وتعتبر أنسب صفاتها[٦٧].

ولعل موضوعات القبح والشر وتصوير صور الصراع والعذاب والألم نجد لها مكانها في الفن الرومانتيكي ، لأنها تمثل تمزق الروح في صراعها مع ذاتها وهذا هو موضوع الفن ، فالروح تصبح روحًا حقيقة حين تمزق نفسها لكي تعود لاصلاح هذا التمزق من جديد حين تنتشر في جزئية العالم. والشر والقبح هما لحظة جزئية في دائرتي الفن والأخلاق على التوالي. وتكون قد تغلبت عليها ثم عادات منتصرة لذاتها ، وهي لا تكون عينية إلا عندئذ فقط[٦٨].

كما أن الفن الرومانتيكي عند هيجل يحمل في ذاته بذرة تفككه داخل نفسه ذلك لأن هيجل يرى أن الفن طبقًا لفكرته الشاملة هو اتحاد المضمون الروحي مع الشكل الخارجي. وقد عجز الفن الرومانتيكي على اتحاد الشكل بالمضمون ، فما دامت الروح عند الرومانتيكية تجسيدًا حسيًا كافيًا للتعبير عنها ، فيحدث التفكيك الكلي للفن وتجد الروح أن الفن ليس هو الوسط الحقيقي لها[٦٩].

ويؤكد هيجل أن انفصال الفن يكمن في اتجاهين هما : منطق الكلاسيكي الأكاديمي والذاتية الرومانطقية في تحطيم محتوى الفن. وأن هذه النتيجة للانحلال في الأشكال الفنية لا تعود إلى الخراب والركاكة الذي لحقت بالفن وإنما تعود إلى الحركة المتطورة للفن ذاته[٧٠]. إذ بين غياب الجدية الموضوعية للعالم الخارجي وظهور الذاتية الصرفه يسقط الفن كما يرى هيجل تحت هيمنة النزوة والسخرية.[٧١] وبهذه النقطة يصل هيجل واقعيًا لنهاية الفن الرومانتيكي التي هي

---

[٦٤] المرجع السابق ، ص ٥٧.

[٦٥] بدوي ، عبدالرحمن : فلسفة الجمال والفن عند هيجل ، مرجع سابق ، ص ٢٨.

[٦٦] اسماعيل ،عزالدينن : الأسس الجمالية في النقد العربي ، مرجع سابق ، ص ٥٧ ـ ٥٨.

[٦٧] هيجل : فن الرسم ، ترجمة : جورج طرابيشي ، ط١ (دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٨٠) ، ص ١٠٥.

[٦٨] ستيس ، وولتر : فلسفة الروح ، ج١ ، ترجمة : امام عبدالفتاح ، ط٣ (دار التنوير ، بيروت ، ٢٠٠٥) ، ص ١٥١.

[٦٩] ستيس ، وولتر : فلسفة الروح ، المرجع السابق ، ص ١٥٤.

[٧٠] أوفسيانيكوف ، م. ، وسمير نوفا : موجز تاريخ النظريات الجمالية ، مرجع سابق ، ص ٢٩٣-٢٩٧.

[٧١] جيمنيز ، مارك : ما الجمالية ، مرجع سابق ، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٥.

نهاية ذاتها توافق بنهاية الفن[٧٢]. ولهذا فحالة الفن المعاصر تسعى إلى توظيف القبيح وذلك لكي يظهر معالم الجمال الكامن فيه.

أما (شوبنهاور)[*] (١٧٨٨-١٨٦٠) يرى بأن الموضوعات القبيحة والمثيرة للاشمئزاز تصبح جميلة بفعل سيطرة الذات العارفة على الإرادة والرغبات حينها ترى الذات العارفة الجمال في كل شئ حتى في القبح. فالفن يكون صافيًا حين يتحرر من عبودية الإرادة والرغبة وإلا كان فنًا ناقصًا[٧٣].

كذلك يصبح الشر ذاته موضوعًا للجميل من خلال الفن والسبب في ذلك هو الفرق مابين القبح في الطبيعة المثير للاشمئزاز والقبح في الفن وهو مايثير المتعة عند تأمله الاستطيقي. لذلك فأن مايزعجنا في الحياة قد يصبح موضوع للعظة حين نتاملها في لوحة فنية مرسومة[٧٤]. ولعل هذا يتضح فيما تكشفه (التراجيديا) من قوة التعبير للكشف عن الجانب المفزع من الحياة في صراع الذات مع الإرادة وصراعها مع القدر والقوى الكونية التي لا نستطيع التغلب عليها[٧٥].

وتكشف بذلك (التراجيديا) عن طبيعة الحياة والوجود وعن كل صراع بشري ، ولأن التراجيديا تصور لنا الوجود بوصفه خطيئة ومايحمله من ألم ومعاناة وشر كجزء وضريبة ضرورية للوجود ذاته ، فالتراجيديا تدفعنا بذلك لمقاومة إرادة الحياة والنظر للذات الوجود على أنها وهم زائف[٧٦]. وبهذا تظهر لنا التراجيديا مالا يستطيع الواقع التعبير عنه من صراعات الحياة وتجسيدها له من خلال الإرادة والعقل.

كما يكمن التعبير عن القبح كما يرى (شوبنهاور) بصورة اكثر وضوح حين يتجسد في فن التصوير دون النحت ، ذلك أن فن التصوير بإمكانه التعبير عن الوجوه القبيحة والاجسام الهزيلة في حين التعبير يكون في فن النحت مشوهًا ، لأنه تزييف في الخلق ويحدث ملاً وسامًا[٧٧]. فالتصوير من خلال استخدامه للون وتعبير الوجوه وشكل العيون يجسد صورة ملامح امرأه باكية، بينما النحت لا يستطيع تصويرها بصورة اكثر دقة[٧٨].

إن التأمل الفني عند(شوبنهاور) يتضمن جانبين : الأول العارفة بنفسها ، بوصفها ذاتًا عارفة محضة خالية من كل إرادة. فحينما تغلب المعرفة على الإرادة فإن الذات العارفة سرعان ماترى الجمال في كل شئ (أي حتى في الموضوعات القبيحة والمثيرة للاشمئزاز). فكلما تحرر الفن من عبودية الإرادة كان صافيًا وكاملاً أن ما يعتريه من نص فيرجع لعدم تحرره من الإرادة[٧٩].

---

[٧٢] المرجع نفسه ، ص ٢٠٤.

[*] آرثر شوبنهاور : فيلسوف الماني لاعقلاني منتهى في فلسفته إلى المثالية الاعتباريه لدى (كانط) ونظريته الجمالية تؤكد على أن الفن هو رغبة للبحث عن الاهم بلا مصلحة أو منعفة ذاتيه.

[٧٣] عباس ، راويه عبدالمنعم : القيم الجمالية (دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ١٩٨٩) ، ص ١٥٨-١٥٩.

[٧٤] توفيق ، سعيد محمد : ميتافيزيقا الفن عن شوبنهاور ، ط١ (دار التنوير ، بيروت ، ١٩٨٣) ، ص ١١٠.

[٧٥] أبو ريان ، محمد على : فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة ، مرجع سابق ، ص ١٥٢.

[٧٦] توفيق ، سعيد محمد : ميتافزيقا الفن عند شوبنهاور ، مرجع سابق ، ص ٢٣٦ - ٢٣٧.

[٧٧] بدوي ، عبد الرحمن : شوبنهاور ، خلاصة الفكر الأوروبي (دار القلم ، بيروت ، ١٩٤٢)، ص ١٦٥.

[٧٨] توفيق ، سعيد محمد : ميتافيزيقا الفن عند شوبنهاور ، مرجع سابق ، ص ٢١٨.

[٧٩] عباس ، راويه عبدالمنعم : القيم الجمالية ، مصدر سابق ، ص ١٥٨ - ١٥٩.

أما القبح عند (كروتشة)[*] (١٨٦٦-١٩٥٠) فيحذر من استبعادة كمضمون إيجابي ، لأنه سيؤى ذلك إلى استبعاد القبح من دائرة الفن[٨٠]. حيث يعرض كروتشة الجمال على أنه وحده ، بينما تتعدد أنواع القبح "ذلك أنه لايوجد ماهو أكثر جمالاً من الجميل ، أما القبح فيظهر في درجات تتابع من الشئ قليل القبح أو ماهو قريب من الجمال حتى القبح الشنيع[٨١].

كما أكد كروتشة على أن قيمة الفن تكمن في قدرته التعبيريه التي يجسدها إذ أن الجمال "ماهو إلا القيمة المحددة للتعبير ، وبالتالي للصورة"[٨٢]. فشمولية التعبير الفني لكافة الموضوعات الحياتية تجعل من الفن أصدق وأجمل إذ "كلما كان الفن أخلص في تعبيره عن حركات الواقع كان أتم ، وكلما كان أتم كان أقوى على استخراج الاخلاق من الأشياء نفسها"[٨٣]. هذا يعني أن الفن لا يحقق قيمته الجمالية إلا متى كان يحمل تعبيرًا صادقًا عن واقع الحياة بكل مافيها من قبح وجمال فضيلة ورذيلة شر وخير حينها يصل إلى قيمته الحقيقة والاستطيقة التي هى غاية الفن.

إن طبيعة الفن كفيلة بتجسيد القبح في بناء جميل وهذا البناء يفض على قاعدة أن كل فن تعبير ولكن ليس كل تعبير فنًا بالضرورة لهذا فإن لم يكتمل هذا البناء فالتعبير عن المضمون يكون ناقصًا أو مبتورًا[٨٤]. فالفن يكون بذلك خلق مستقل بذاته يكشف عن ذلك القبح الموجود في الواقع كما يكشف عن الجمال في كلتا الحالتين فهو تعبير صادق عن الواقع الحياتي.

إذ يرى كروتشة أن الخلق الفني لا يزيد ولا ينقص من قدرة أن يكون على مستوى محدد من الاخلاق. مهاجم بذلك كل من يرى أن "للفن ضرورة في توجيه الناس نحو الخير ويثبت فيهم كره الشر، ويصلح من عاداتهم ويقوم اخلاقهم" ، إذ ليس من اختصاص الفن القيام بمثل هذه المواعظ فهي أمور لا يمكن للفن أن يقوم بها أكثر مما تستطيع الهندسة "فهل عجز الموضوعات المخزية والمضحكة والبشعة والفظيعة تظل شرورًا خلقية مالم تصبح ضروريًا من الخير الجمالي"[٨٥]. وهذا يعني أن سانتيانا يقر بموضوعات القبح فنيًا بإحالتها إلى نوع من الخير الاستطيقي جماليًا وإلا اصبحت واقعيًا ضروبًا من الشر الاخلاقي.

كما إن القبيح - من وجهة نظر سانيتانا[*] (١٩٥٢ - ١٩٦٣) لا وجود له في ذاته ولكنه يصبح كذلك لاننا نتوقع شيئًا مخالفًا له في هذه اللحظه[٨٦]. فالأشياء القبيحة في مقدروها أن تثير

(*) كروتشة : فيسلوف وعالم جمالي ايطالي من اتباع التيار الهيجلي الجديد من بين الذين ارسو دعائم المثالية المطلقة ، أهم كتبه في مجال الجمال والفنون (الاستطيقا بوصفها علم التعبير أو علم المعاني) و (المجمل في علم الجمال).

(٨٠) كروتشة ، بندتو : المجمل في فلسفة الفن ، ترجمة : سامي الدروبي ، ط ب (دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٤٧) ، ص ١٢٦.

(٨١) اسماعيل ، عزالدين : الأسس الجمالية في النقد العربي ، مرجع سابق ، ص ٥٩.

(٨٢) كروتشة ، بندتو : المجمل في فلسفة الفن ، مرجع سابق ، ص ٧٥.

(٨٣) المرجع السابق ، ص ١٧١.

(٨٤) راغب ، نبيل : المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى البعثية ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٧) ، ص ١٣٦.

(٨٥) سانيتانا ، جورج : الاحساس بالجمال ، ترجمة : مصطفى بدوي (دار الافاق ، بيروت، ١٩٦٨) ، ص ٢٣٩.

(*) جورج سانتيانا (١٩٥٢ - ١٩٦٣) : فيلسوف معاصر اسباني الأصل له عدة مؤلفات في مجال علم الجمال كعلم مستقل منها (الاحساس بالجمال) و (العقل في الفن) وهو ينتمي إلى النزعة الروحية مؤكدًا على النزعة الروحية في الفن.

(٨٦) شكري ، فايزه أنور : فلسفة الجمال والفن (دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ٢٠٠٤) ، ص ٥٠.

الاهتمام ، لكنها لا تستطيع الاحتفاظ لهذه القدرة[٨٧]. فالقبح وفقًا لتصور سانيتانا يكمن في الذات وليس في الموضوع المشاهد، فشعور الإنسان بالنفور من أشياء معينة ، إنما يعود إلى خطأ الذات وافتقارها القدرة على الحكم عن الأشياء فيما إذا كانت جميلة أو قبيحة وهو بذلك يرفض وجود قبح في ذاته.

كما تبرز رؤية (جورج سانتيانا) الجمالية إلى قيمة الفن في تعبيره عن الحياة الواقعية تعبيرًا جماليًا يرمز إلى الخير الجمالي من خلال فن التراجيديا وفن الكوميديا اللذان على الرغم مما قد يكون فيهما من رذائل وقبح وشرود إلا أنهما "خيرهما الجمالي يسرنا فيما يبدو عن طريق إيحائها بالشر"[٨٨]. وهذا يعني أن الجميل في الفن في كلا الحالتين رمز للخير الاخلاقي طالما أن الجمال الفني لا يمكنه أن ينفصل عن انسانية السلوك ومايحمله من قبح وجمال ، خير وشر، فضيلة ورذيلة.

أن الكثير من الأعمال الفنية كالوحات والقصص الأدبية وغيرها لاتخلو في مضمونها من عامل الخوف والفزع إلا أنه لا يمكننا القول بأنها خالية وهابطة كموضوع في الفن[٨٩]. فالفن المعبر تعبيرًا كاملاً يكون موحدًا بين جميع العناصر من "تاريخ أو رياضة أو نموذج أو اخلاق أو لذة" ، ذلك لأن الفن "ينطوي لوحدة الفكر على ذلك وعلى كل ماعدا ذلك أيضًا"[٩٠]. إذ كل ماكان الفن اكثر شمولية في التعبير عن موضوعات الحياة القبيحة منها والجميلة كان العمل الفني اكثر واقعية وصدقًا وأتم جمالاً عند كروتشة طالما إن القيمة المحددة لجمالية العمل الفني تكمن في القيمة التعبيرية الصادقة لكل مافي الواقع من قبح وجمال.

إذ يرى كروتشة بهذا أن القبح يكون في التعبير غير الناجح لأن التعبير حين يخلو من النجاح لايعد تعبيرًا فنيًا بل يكون قبحًا[٩١]. فمتى كان التعبير عن القبح كموضوع فني ناجحًا كان العمل الفني اكثر مصدقية وجمالاً.

وبهذا يرى سانتيانا أن القبح ليس مصورًا لالم حقيقي بل أنه مصدر للتسلية. ذلك من خلال إحالة الموضوعات القبيحة إلى موضوعات جمالية حينما نضيف إليها "ضروبًا إيجابية من الجمال" ، إذ إن ماهي إلا ارتباطات ترمز للخير والجمال في الفن ، بحيث تصبح تلك الموضوعات المنفرة واقعيًا "ارتباطات تدعو إلى السلوى والعزاء" ويضرب سانتيانا مثالاً لذلك بالموت الذي يصير ممكنًا جماليًا حين يعالج فنيًا ، للتخفيف من الألم[٩٢].

وهذا يعني أن للفن قيمة أخلاقية بشكل ضمني وغير مباشر ذلك من خلال التطهير من الانفعالات والتسامي بها إذ أن في تصوير الفن لكوارثنا تخفيفًا من حدتها واقرار بإن لا وجود لشر أو خير محض. "لهذا تستطيع الحاسة الجمالية أن تكشف عن وجه العظمة في مصائبها وعن الجانب الطروب في بلايانا، فإنها تخفف من وطأتها وتعزينا عن استحالة وجود جمال كامل معظم الوقت"[٩٣].

---

[٨٧] سانتيانا ، جورج : الاحساس بالجمال ، مرجع سابق ، ص ٣٤٢.

[٨٨] المرجع السابق ، ص ٢٢٠.

[٨٩] عباس ، راويه عبدالمنعم : القيم الجمالية ، مرجع سابق ،ص ٢٢٦.

[٩٠] كروتشة ، بندتو : المجمل في فلسفة الفن ، مرجع سابق ، ص ٩١ - ٩٢.

[٩١] الشكرجي ، جعفر : الفن والاخلاق في فلسفة الجمال ، ط١ (دار حوران ، دمشق ، ٢٠٠٢) ، ص ١٥٠.

[٩٢] الشكرجي ، جعفر : الفن والاخلاق في فلسفة الجمال ، مرجع سابق، ص ٢٣٨.

[٩٣] المرجع السابق ، ص ٢٣٨.

أن الأخلاق الجمالية عند سانتيانا تتضح من خلال التجارب الإنسانية بكل مافيها من قبح أو جمال. وهذا يظهر جلي في فن التراجيديا حينما "تساعد الكوارث على خلق الاحساس بالصدق ، وعلى ابراز الصفات النبيلة في شخصية البطل"[٩٤]. وهذا يعني أن القيمة الجمالية تتوقف في دورها التعبيري عن مختلف القيم في الحياة الإنسانية من خلال التبادل بين الموضوع الفني والسلوك الواقعي بكل مايحمله من قبح ودمامة إلى جانب الجمال.

وتتضح الفلسفة الوجودية فيما يتعلق بالقبح في الوجود عند الفيلسوف الوجودي (سارتر)[*] (١٨٩٧ -١٩٨٠) حينما يرى أن الواقع ليس جميلاً ، فالقبح موجود في الواقع. وما الجمال إلا قيمة تنطبق على الخيال وهو يضفي العدم على العالم في تركيبه الاساسي[٩٥]. ذلك لأن الموضوع الجمالي هو موضوع متخيل فهو لا يدرك إلا بفعل الوعي المتصور الذي يعده لا واقعيًا[٩٦]. فالجمال وفق تصور سارتر لا يتحقق إلا في عالم اللا واقع ، بمعنى أن الجمال لا ينتمي إلى هذه الحياة وإنما ينتمي إلى عالم المخيلة وبالتالي فإن أي عمل فني في أساسه غير واقعي بل متخيل.

أما مفهوم القبح يظهر في الفلسفة الوجودية العبثية عند (البيركامي)[*] (١٩١٣ -١٩٦٠) من خلال نظريته في (التمرد) ففي حضن التمرد تنشأ جميع القيم سواء الجمالية أو الاخلاقية أو الاجتماعية والإنسان المتمرد هو فنان ، ذلك لأن الفن لا يقبل الواقع كالتمرد فالواقع سلبي بالنسبة للمتمرد[٩٧].

ولعل مفهوم القبح الجمالي في الفن يظهر بوضوح حين يحاول البيركامي أن يلتف بالقبح الذي في العالم ليخلق منه بعد إيجابيًا جماليًا. من خلال ربطه بين العمل الروائي الفني وبين التمرد ، فالروائي يتمرد على واقعه ويسعى لتغييره وتعديله وهذا مايجعل التمرد عنده عنصر هام في بناء الروايه وتنظيمها من خلال رفضه للواقع الذي يرى بأن لا معنى له[٩٨].

أن الفن اللامعقول عند البيركامي لايزال فنًا له قيمته ، فمنهما كان في الحياة من قبح أو فوضى أو ظلم فالثورة على ذلك يحمل في طياتها جوانب من الخير فيحسد الفنان من صميم واقعه مادة حية تجعل من الجمال املاً وهذا الأمل يدفعه الفنان في عمله الفني ليجسده للناس فيخلع بهذا على الأشياء قيمة وعلى الكون معنى[٩٩].

---

[٩٤] المرجع السابق ، ص ٢٧٠.

[*] سارتر : فيلسوف فرنس معاصر وهو من أبرز الفلاسفة الوجوديين له العديد من المؤلفات الفلسفية والأدبية من بينها في مجال الفن والأدب كتابه (ماهو الأدب) ، أن الوجود الإنساني في رأيه وجود بلا هدف لذلك فهو وجود زائد عن الحاجة.

[٩٥] مطر ، أميره : فلسفة الجمال إعلامها ومذاهبها ، مرجع سابق ، ص ٢١٤.

[٩٦] إبراهيم زكريا : فلسفة الفن في الفكر المعاصر ، دراسات جمالية (١) ، (مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٦) ، ص ١٩٥.

[*] البيركامي (١٩١٣ - ١٩٦٠) : فيلسوف فرنسي أحد الفلاسفة الوجودين كان من اتباع مذهب اللامعقول والعبث والتمرد. وتعبر أعماله عن القلق في القرن العشرين وكان من أهم اعماله مسرحية (الطاعون) وفيه تتجلى افكاره عن العبث واللا معقول ومن أعماله كتاب كامي) و (اسطورة جوزيف).

[٩٧] ماركودي ، جون : الوجودية ، سلسلة عالم المعرفة (٥٨) ، ترجمة : امام عبدالفتاح ، مراجعة : فؤاد زكريا ، الكويت ، ١٩٨٢) ، ص ١٧٢.

[٩٨] عباس ، راوية عبد المنعم : القيم الجمالية ، مرجع سابق ، ص ٢٦٣.

[٩٩] العشماوي ، محمد زكي : فلسفة الجمال في الفكر المعاصر ، (دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٠) ، ص ٣٣٤.

وبين الرفض والقبول يؤكد البيركامي بأن الفن لا يمكنه رفض الواقع بشكل مطلق بل على الفنان أن يتحمس لبعض من جوانبه الحقيقية إذ أن التفكير القائل باللامعقول هو في حد ذاته تفكير ذات معنى فمهما ثار الفنان لكي يبدع جمالاً لابد له من التمرد على جوانب الظلم والقبح لاجل مضامين أخرى[١٠٠]. وهذا يعني أن الفنان المتمرد على الواقع لا ينكر الواقع بشكل مطلق وإنما ينكر البعض من جانبه ليبين ذلك الجدل بين القبح والجمال لكي يخلق من ذلك بعدًا إيجابيًا يحتوي على مضامين من الخير الجمالي والاخلاقي.

وتبرز رؤية الفيلسوف (جون ديوي)[*] (١٨٥١-١٩٥٢) حول القبح كموضوع فني ومكانته في العمل الفني وكيفية حل مشكلة القبح حسب رأيه - حين يعتبر أن الشئ الذي يطلق عليه لفظ قبيح أنما هو الموضوع في ارتباطاته العادية التي تبدو في العادة لنا بمثابة جزء لا ينفصل من صميم موضوع بعينه. فالقبح هنا لا ينطبق على ماهو ماثل في اللوحة أو الدراما والعلة في ذلك ، أن هناك تحولاً ظهر مع ظهور القبيح في موضوع ذي دلالة تعبيرية[١٠١]. فالفنان قد يستخدم أشياء نعدها في العادة بشعة وقبيحة الشكل ذلك لإبراز الأثر الجمالي المقصود مستخدم التأثير في الألوان التي تتصارع وتتصادم وموسيقى تحدث اصواتًا تتنافر وتتنازع أو قد يلجأ الفنان لوضع مسافات في رسمة تبدو في الظاهر غامقة أو مساحات فارغة تخلو تمام من الرسم وذلك لتحقيق طريقة خاصة تستخدم للترابط بين تلك الأشياء المتنافرة[١٠٢]. وهذا يعني أن الشئ القبيح والذي كان منفرًا في ظروفه العادية أصبح غير ذلك حينما تحول إلى صورة تعبيرية تجعل من القبيح جميل فنيًا بمقارنته ببشعته في الواقع.

أن القبح والجمال عند (فريدرك نيتشه)[*] (١٨٤٤-١٩٥٥) يعكسان إرادة القوة ، فالإنسان الذي يعكس قوته على الأشياء هو الإنسان المتكامل إذ وراء كل حكم جمالي اساس بالقوة. وبالضد نجد الإنسان الضعيف تسيطر عليه نوازع مضادة للفن ، فيعكس ضعفه على الأشياء حيث يجعلها فارغة من معناها[١٠٣]. فالفن لا يأخذ صلاحيته إلا أن حقق الاعلاء في الحياة عند نتشة بمعنى تحول تلك الحياة الغير محتملة كما هي في الواقع إلى شئ مقبول حسب الحاجة في الخلق الفني[١٠٤].

إذ من شأن الفن كما يرى أن يخفي كل ماهو قبيح أو ذميم ذلك إن نقيض الفن هو كل امر بشع وقبيح. فالجمال كما يرى نيتشة هو عدو لكل سخط وذميم يفتقر للحياة وذلك بسبب الفعل

---

[١٠٠] إبراهيم ، زكريا : فلسفة الجمال في الفكر المعاصر ، مرجع سابق ، ص ١٧٩-١٨٠.

[*] جون ديوي : فيلسوف وعالم نفسى أمريكي من أوائل المؤسسين للفلسفة البرجماتية ، اعتبر جون ديوي الفلسفة سلطة تشريعية مهمتها نقض القيم الحاضرة واقتراح قيم جديدة تواكب التغييرات.

[١٠١] ديوي ، جون : الفن خبرة ، ترجمة : زكريا إبراهيم ، مراجعة : زكي نجيب محمود ، (دار النهضة العربية ، مؤسسة فرانكلين للطباعة ، القاهرة ، نيويورك ، ١٩٦٣) ، ص ١٦٢.

[١٠٢] المرجع السابق ، ص ٢٩٢.

[*] نيتشة (١٨٤٤ ـ ١٩٥٥) : فيلسوف الماني ولد بروسيا يعتبر من أعظم الشخصيات التي أثرتت في تاريخ الغرب حيث انتقد الدين والفلسفة والعلم والاخلاق ، حيث رفض كل ماهو مقدس وثابت من مقولاته إرادة القوة ، العود الابدي، أهم مؤلفاته (زداوشت) (عدو المسيح).

[١٠٣] الشيخ ، محمد : نقد الحداثة في فكر نيتشه ، ط١ (الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت ، ب ت) ، ص ٦٧١.

[١٠٤] شتاينز ، رودولف : نتشه مكافحًا في عصره ، ترجمة : حسن صقر ، ط١ (دار الحصاد للنشر ، دمشق ، ١٩٩٨) ، ١١٠.

الإحباطي الذي يخلقه الذميم على النقيض من الجميل الذي يقوى الحياة ويبعث لذة الأحساس بالقوة[١٠٥].

ولعل فلسفة نيتشة التي دعى إليها وهي قلب القيم السائدة في عصره من حكمة وراءها تكمن في الهدم من أجل البناء[١٠٦]. وقد ترتب على قلب التقييم وتغيرها أن لاوجود لامر جميل فهو متغير وفقًا لذلك فلا يكون الجمال صفه ثابتة في الشئ إنما هو فعل وصف. فالإنسان هو من يملئ الوجود جمال وذمامة، فقدرة الإنسان أن يخلع الجمال على الأشياء التي ماكانت في ذاتها جميلة ولا ذميمة ولا شئ يمكن أن يجعل الإنسان يستصيغ قبح العالم سوى الكذب فهو تزيين أما الحقيقة فهي قبيحة فكل من الدين والأخلاق والعلم محاولات لتزيين العالم فهي محاولات كاذبة وهي حالات خاصة بالفن[١٠٧].

إن عدمية نيتشة تنطلق من أن الواقع محمل بالغرابة والغموض وعدم الأنسجام حيث أراد أن يوضح مظاهر المرض الذي حل على قيم المجتمعات الحديثة[١٠٨]. إذ أن الفنان لا يستطيع أن يطبق مثل هذا الواقع الممتلئ بالضياع والعدم[١٠٩]. ومن هذا المنطلق يسعى الفنان إلى تغيير هذا الواقع المعدوم نظرًا لتحمله مسئولية بناء الكون[١١٠]. بهذا المعنى يصبح الفن هو المخلص من الواقع المشوه المعدوم مما يحمله من قبح وقيم غير سوية.

وبهذا العرض لفلسفة نيتشة الجمالية يكون القبح والجمال لديه هما الدالان على القوة والوهن والنقص والكمال فكما أن للجميل مكان لخلق تأثير من القوة والكمال فكذلك القبح له أثر انهاكي مرضي وعلى الرغم من ذلك فالشئ القبيح عند نيتشة يحاول على الدوام ادخال المعنى إلى الشئ الذي فقد المعنى منه[١١١].

الخاتمة:

وبهذا يصبح مفهوم القبح من ضمن المفاهيم الجديدة للقيم الاستطيقية الجمالية وخصوصًا في مجال الفنون تبرز هذه القيم ما للقبح من جمال أستطيقي.

إذ إن جوهرية العلاقة ببين القبح والفن يتمثل في طبيعة التعبير الجمالي أو الفني عن القبح بما أن الفن هو شكل من اشكال التعبير المختلفة من وجهة نظر الفنان. وبهذا يصبح القبيح في الفن جميل لما يحمله من

معاني خفية ومضامين رمزية رافضة القبح ذاته بصورة جميلة معبرة وهنا يصبح القبح جزءًا قيمًا في عالم الفن بمعاينة الرمزية.

---

[١٠٥] الشيخ ، محمد : نقد الحداثة في فكر نيتشه ، مرجع سابق ، ص ٦٧١.

[١٠٦] الجابري ، على حسين : الفلسفة الغريبة من التنوير إلى العدمية ، ط ١ (دار مجدلاوي ، عمان ، ٢٠٠٧) ، ص ١٩٩.

[١٠٧] الشيخ ، محمد : نقد الحداثة في فكر نيتشه ، مرجع سابق ، ص ٦٦٧ - ٦٦٩.

[١٠٨] زيادة ، رضوان جودت : صدى الحداثة ومابعد الحداثة في زمنها القادم ، (المركز الثقافي الغربي ، الدار البيضاء ، ٢٠٠٣) ، ص ٤٤.

[١٠٩] مجاهد ، مجاهد عبدالمنعم : جدل النقد وعلم الجمال ، (دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٧) ، ص ٣٧.

[١١٠] الشيخ ، محمد : نقد الحداثة في فكر نيتشه ، مرجع سابق ، ص ٦٨١.

[١١١] المرجع السابق ، ص ٦٧٢ - ٦٨٦.

المراجع باللغة العربية :

١) إبراهيم ، زكريا : كانط أو الفلسفة النقدية ، عبقريات فلسفية (١) ، (مكتبة مصر ، القاهرة، ١٩٦٣).
٢) إبراهيم زكريا : فلسفة الفن في الفكر المعاصر ، دراسات جمالية (١) ، (مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٦).
٣) أبو ريان ، محمد على : فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة ، ط ٨ (دار المعرفة ، الاسكندرية ، ١٩٨٩).
٤) أحمد ، محمود سيد : الاخلاق عند هيوم ، (دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٢) .
٥) أرسطو ، ترجمة : أبي بشر متى ، مراجعة : شكري محمد عياد ، ب ط (دار الكاتب، القاهرة ، ١٩٦٧).
٦) اسماعيل ، عز الدين ، الأسس الجمالية في النقد العربي ، ط١ (دار الفكر العربي، القاهرة ، ١٩٥٥).
٧) أفلاطون ، فايدروس ، ترجمة : أميره حلمي مطر (دار المعارف ، القاهرة ، ب).
٨) أفلاطون ، محاوره جورجياس ، ترجمة : محمد حسن ظاظا ، مراجعة: على سامي النشار، (الهيئة المصرية العامة) ، القاهرة ، ١٩٧٠).
٩) أمين ، أحمد ، وآخر : قصة الفلسفة اليونانية ، ط ٧ ، (السلسلة الفلسفية ٦ ب) .
١٠) الجابري ، على حسين : الفلسفة الغربية من التنوير إلى العدمية ، ط ١ (دار مجدلاوي ، عمان ، ٢٠٠٧).
١١) الشكرجي ، جعفر : الفن والاخلاق في فلسفة الجمال ، ط١ (دار حوران ، دمشق ، ٢٠٠٢).
١٢) الربضي ، أنصاف جميل : علم الجمال بين الفلسفة والإبداع ، ط١ (دار الفكر ، عمان ، ١٩٩٥).
١٣) أوفسياينكوف ، م. ، سمير نوفا : موجز تاريخ النظريات الجمالية ، ترجمة : باسم السقا ، (دار الفاربي ، بيروت ، ١٩٧٥).
١٤) باير ، ديمون : تاريخ علم الجمال من خلال الفلسفة والنقد والفن ، ط١ ، ترجمة : ميشال عاصي، وآخر (دار نلسن ، بيروت ، ٢٠٠٨).
١٥) بدوي ، عبد الرحمن : شوبنهاور ، خلاصة الفكر الأوروبي (دار القلم ، بيروت ، ١٩٤٢).
١٦) بدوي ، عبدالرحمن : افلوطين عند العرب ، ط٣(دار العلم ، بيروت ، ١٩٧٧).
١٧) بدوي ،عبدالرحمن : فلسفة الجمال والفن عند هيجل ، ط١ (دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٦).
١٨) توفيق ، سعيد محمد : ميتافيزيقا الفن عن شوبنهاور ، ط١ (دار التنوير ، بيروت ، ١٩٨٣).
١٩) جمينيز ، مارك : ما الجمالية ، ترجمة : شربل داغر ، ط١ (المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، ٢٠٠٩).
٢٠) حسن ، حسن محمد ، الأصول الجمالية للفن الحديث ، (دار الفكر العربي ، القاهرة ، ب ت).
٢١) حيدر ، نجم عبد : علم الجمال ، آفاقة وتطوره ، ط ٢ ، (جامعة بغداد ، بغداد ، ٢٠٠١).

٢٢) ديوي ، جون : الفن خبرة ، ترجمة : زكريا إبراهيم ، مراجعة : زكي نجيب محمود ، (دار النهضة العربية، مؤسسة فرانكلين للطباعة ، القاهرة ، نيويورك ، ١٩٦٣).
٢٣) راغب ، نبيل : المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى البعثية ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٧).
٢٤) رسل ، برتراند : حكمة الغرب ، ج١ ، ط ٢ ، سلسلة عالم المعرفة (٦٢) ، ترجمة : فؤاد زكريا ، (مطابع دار السياسية ، الكويت ، ٢٠٠٩).
٢٥) زيادة ، رضوان جودت : صدى الحداثة ومابعد الحداثة في زمنها القادم ، (المركز الثقافي الغربي ، الدار البيضاء ، ٢٠٠٣).
٢٦) سانيتانا ، جورج : الاحساس بالجمال ، ترجمة : مصطفى بدوي (دار الافاق ، بيروت، ١٩٦٨).
٢٧) ستولينتز ، جيروم : النقد الفني ، دراسة جمالية وفلسفة ، ترجمة : فؤاد زكريا (مطبعة عين شمس ، ١٩٧٤).
٢٨) ستيس ، وولتر : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ترجمة : مجاهد عبدالمنعم مجاهد ، (دار الثقافة، القاهرة ، ١٩٨٤).
٢٩) ستيس ، وولتر : فلسفة الروح ، ج١ ، ترجمة : امام عبدالفتاح ، ط٣ (دار التنوير ، بيروت ، ٢٠٠٥).
٣٠) شتاينز ، رودولف : نتشه مكافحًا في عصره ، ترجمة : حسن صقر ، ط١ (دار الحصاد للنشر ، دمشق ، ١٩٩٨) .
٣١) شكري ، فايزه أنور : فلسفة الجمال والفن (دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ٢٠٠٤).
٣٢) الشيخ ، محمد : نقد الحداثة في فكر نيتشه ، ط١ (الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت ، ب ت).
٣٣) عباس ، راويه عبدالمنعم : الحس الجمالي وتاريخ الفن ، دراسة في القيم الجمالية والفنية ، ط ١ (دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٩٨).
٣٤) عباس ، راويه عبدالمنعم : القيم الجمالية (دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٧).
٣٥) عباس ، راويه عبدالمنعم : القيم الجمالية (دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ١٩٨٩).
٣٦) عباس ، روايه عبدالمنعم : الحس الجمالي وتاريخ الفن ، ط١ (دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٩٨).
٣٧) عبد الحميد ، شاكر: التفضيل الجمالي ، دراسة سيكولوجية التذوق الجمالي ، سلسلة عالم المعرفة (٢٦٧) (الكويت ، ١٩٩٩).
٣٨) عبدالحميد، شاكر: عصر الصورة ، الايجابيات والسلبيات ، سلسلة عالم المعرفة ، (٣١١)، (مطابع السياسة ، الكويت ، ٢٠٠٥).
٣٩) عدده ، غاده المقدم : فلسفة النظريات الجمالية ، ط ١ (جروس بيرس ، طرابلس ، بيروت، ١٩٩٦).
٤٠) العشماوي ، محمد زكي : فلسفة الجمال في الفكر المعاصر ، (دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٠).
٤١) عياد ، محمد شكري : أرسطو طاليس ، ب ط (دار الكتاب ، القاهرة ، ١٩٦٧).
٤٢) فضل الله ، المهدي : فلسفة ديكارت ، ط ٣ (دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٩٦).

٤٣) كانط ، امانويل : نقد ملكة الحكم ، ترجمة : غانم هنا ، ط١ (المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، ٢٠٠٥).
٤٤) كروتشة ، بندتو : المجمل في فلسفة الفن ، ترجمة : سامي الدروبي ، ط ب (دار الفكر العربي ، القاهرة، ١٩٤٧).
٤٥) لويس ، جنفياف روديس : ديكارت والعقلانية ، ط ٤ ، ترجمة : عبده الحلو ، (منشورات عويدات، بيروت ، ١٩٨٨) .
٤٦) ماركودي ، جون : الوجودية ، سلسلة عالم المعرفة (٥٨) ، ترجمة : امام عبدالفتاح ، مراجعة : فؤاد زكريا ، الكويت ، ١٩٨٢).
٤٧) مجاهد ، مجاهد عبدالمنعم : جدل النقد وعلم الجمال ، (دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٧).
٤٨) مطر ، أميره حلمي : فلسفة الجمال إعلامها ومذاهبها ، ط ب (المكتبة العربية : ١٩٩٧).
٤٩) مطر ، أميره حلمي : فلسفة الجمال نشأتها وتطورها ، (دار الثقافة ، بغداد، ١٩٨٤) .
٥٠) مطر ، أميره حلمي : في فلسفة الجمال من أفلاطون إلى سارتر ، ط ب (دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٤).
٥١) هلال ، محمد غنيمي : النقد الأدبي الحديث ، (دار الثقافة ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٩٦).
٥٢) هيجل : المدخل إلى علم الجمال ، (ترجمة : جورج طرابيشي ، ط ٢ (دار الطليعة، بيروت ، ١٩٨٠).
٥٣) هيجل : فن الرسم ، ترجمة : جورج طرابيشي ، ط١ (دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٨٠).

المراجع باللغة الأجنبية :

54) Edwards, Paul : The Encyclopedia of Philosophy, MacMillan Publishing (Ollier MacMillan Publisher, New York, London, 1967.

55) Kant : The chitic of Judgment, translated with analogical indexes by James Greed Meredith, Clarendon Press,Oxford, 1952.